

كلمة التوحيد

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

فضائلها ومدلولها وشروطها ونواقضها

تأليف

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله صلى اللهُ عليه وسلم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد: فهذه الرسالة حَوَتْ على خُلاصةٍ نافعةٍ عن خيرِ الكلماتِ وأعظَمِها وأجلِّها وأنفعِها كلمةِ التوحيدِ لا إله إلا اللهُ فضائلُها ومدلولُها وشروطُها ونواقضُها، وهي في أصلِها مُستَلَّةٌ مِنْ كتابي «فقه الأدعية والأذكار»، رَغِبَ بعضُ الأفاضلِ أفرادها مُستقلةً رَجَاءً عُمومِ نفعها وتيسيرِ الإفادة منها، وأسألُ الله أن يعظمَ البركةَ فيها، وأن يجعلها بابَ هدايةٍ لِمَنْ شاءَ مِنْ عِباده، وأن يَهْدِينَا أجمعينَ صراطَهُ المستقيمَ صراطَ الذين أنعمَ اللهُ عليهمَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وصلى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه / عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

فَضَائِلُ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

إِنَّ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الْجَلِيلَةِ فَضَائِلَ عَظِيمَةً، وَفَوَاضِلَ كَرِيمَةً، وَمَزَايَا جَمَّةً، لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ اسْتِقْصَاؤَهَا، وَهِيَ أَفْضَلُ الْكَلِمَاتِ وَأَجْلَهَا وَأَعْظَمُهَا؛ وَلَأَجْلِهَا خُلِقَتِ الْخَلِيقَةُ، وَأُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، وَأُنزِلَتِ الْكُتُبُ، وَبِهَا افْتَرَقَ النَّاسُ إِلَى مُؤْمِنِينَ وَكُفَّارٍ، وَسَعْدَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَشْقِيَاءِ أَهْلِ النَّارِ، فَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَهِيَ أَعْظَمُ أَرْكَانِ الدِّينِ وَأَهَمُّ شُعَبِ الْإِيمَانِ، وَهِيَ سَبِيلُ الْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ، وَهِيَ كَلِمَةُ الشَّهَادَةِ، وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ، وَأَصْلُ الدِّينِ وَأَسَاسُهُ وَرَأْسُ أَمْرِهِ، وَفَضَائِلُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَمَوْقِعُهَا مِنَ الدِّينِ فَوْقَ مَا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ وَيَعْرِفُهُ الْعَارِفُونَ

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ [آل عمران].

وَمِمَّا وَرَدَ فِي فَضْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَهَا زُبْدَةَ دَعْوَةِ الرَّسْلِ، وَخِلَاصَةَ

رِسَالَتِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ﴿٢٥﴾

[الأنبياء]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا

أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وَقَالَ

تَعَالَى فِي أَوَّلِ سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ

عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ ﴿٢﴾

[النحل]، وَهَذِهِ الْآيَةُ هِيَ أَوَّلُ مَا عَدَّدَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ

النَّعْمِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ التَّوْفِيقَ لِذَلِكَ هُوَ

أَعْظَمُ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي أَسْبَغَهَا عَلَى عِبَادِهِ كَمَا قَالَ
سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [لقمان: ٢٠].
قال مجاهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١).

وقال سفيان بن عيينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ مِنَ
الْعِبَادِ نِعْمَةً أَعْظَمَ مِنْ أَنْ عَرَّفَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٢).

* ومن فضائلها: أَنَّ اللَّهَ وَصَفَهَا فِي الْقُرْآنِ بِأَنَّهَا الْكَلِمَةُ
الطَّيِّبَةُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْمَ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً
طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾
تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم].

* وهي القولُ الثابتُ في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٧٨/١١).

(٢) ذكره ابن رجب في «كلمة الإخلاص» (ص: ٥٣).

ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ
اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ [إبراهيم].

* وهي العهد في قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا

مَنْ أُتِخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ [مريم]، رُوي عن ابن
عباس رضي الله عنهما أنه قال: «العهد: شهادة أن لا إله إلا الله، ويتبرأ
إلى الله عز وجل من الحول والقوة، وهي رأس كل تقوى»^(١).

* ومن فضائلها: أنها العروة الوثقى التي من تمسك بها

نجا، ومن لم يتمسك بها هلك، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ
بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ
[البقرة: ٢٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ
وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

(١) رواه الطبراني في «الدعاء» (٣/١٥١٨).

* وَمِنْ فُضَائِلِهَا: أَنَّهَا الْكَلِمَةُ الْبَاقِيَةُ الَّتِي جَعَلَهَا إِبْرَاهِيمُ

الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عَقِبِهِ لِعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي

فَطَّرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لِعَلَّهُمْ

يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ [الزخرف].

* وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى الَّتِي أَلْزَمَهَا اللَّهُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَعَلَ

الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ

سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ

التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ [الفتح].

رَوَى أَبُو إِسْحَاقَ السَّبْعِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ:

«مَا تَكَلَّمَ النَّاسُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ سَعْدُ

بن عيَّاض: أتدري ما هي يا أبا عبد الله؟ هي والله كلمة التقوى ألزمها الله أصحاب محمد ﷺ وكانوا أحق بها وأهلها ﴿صَلِّ عَلَيْهِمْ﴾^(١).

* ومن فضائل هذه الكلمة: أنها منتهى الصوابِ وغايتُهُ،

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَأِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا].

روى عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله

تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ أنه قال: «إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّبُّ وَعَجَّلَ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وهي منتهى الصواب»^(٢).

(١) رواه الطبراني في «الدعاء» (٣/١٥٣٣).

(٢) رواه الطبراني في «الدعاء» (٣/١٥٢٠).

وقال عكرمة رَحِمَهُ اللهُ: «الصوابُ: لا إلهَ إلا اللهُ» (١).

* ومن فضائلها: أنها هي دعوة الحقِّ المُرادَة بقوله

تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ

بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ ۗ وَمَا دَعَاُ الْكٰفِرِينَ

إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿١٤﴾ [الرعد].

* ومن فضائلها: أنها هي الرابطة الحقيقية التي اجتمع

عليها أهلُ دينِ الإسلام، فعليها يُوالونَ وَيُعَادونَ، وبها

يُحِبُّونَ وَيُبْغِضُونَ، وبسببها أصبحَ المجتمعُ المسلمُ

كالجسدِ الواحدِ وكالبنيانِ المرصوصِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا.

قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه

«أضواء البيان»: «والحاصل: أنَّ الرابطة الحقيقية التي

(١) رواه الطبراني في «الدعاء» (٣/١٥٢٠).

تَجْمَعُ الْمُفْتَرِقَ وَتَوْلِّفُ الْمُخْتَلِفَ هِيَ رَابِطَةٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
الْأَتْرَى أَنْ هَذِهِ الرَابِطَةُ الَّتِي تَجْمَعُ الْمُجْتَمَعَ الْإِسْلَامِيَّ كُلَّهُ
كَأَنَّهُ جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَتَجْعَلُهُ كَالْبِنْيَانِ يُشَدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا،
عَطَفَتْ قُلُوبَ حَمَلَةِ الْعَرْشِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى
بَنِي آدَمَ فِي الْأَرْضِ مَعَ مَا بَيْنَهُمْ مِنَ الْاِخْتِلَافِ؟!، قَالَ
تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ
رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ
﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ
ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَلْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ
وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ [غافر]، فَقَدْ أَشَارَ تَعَالَى

إلى أن الرابطة التي رَبَطْتُ بين حَمَلَةِ العرشِ وَمَنْ حَوَّلَهُ
وَبَيْنَ بَنِي آدَمَ فِي الأَرْضِ حَتَّى دَعَوْا اللهُ لَهُمَ هَذَا الدَّعَاءَ
الصَّالِحَ العَظِيمَ إِنَّمَا هِيَ الإِيمَانُ بِاللهِ جَلَّ وَعَلا».

إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: «وبالجملة: فلا خِلافَ بينَ المُسلمينَ
أنَّ الرابطةَ التي تربطُ أفرادَ أهلِ الأرضِ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ،
وتربطُ بينَ أهلِ الأرضِ والسَّمَاءِ هي رابطةٌ: لا إلهَ إلا اللهُ،
فلا يجوزُ أَلْبَتَّةَ النداءُ برابطةٍ غَيرِها»^(١) اهـ.

* ومن فضائل هذه الكلمة: أنها أفضلُ الحَسَناتِ، قال

الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ [النمل: ٨٩].

وقد وردَ عن ابنِ مسعودٍ، وابنِ عباسٍ، وأبي هُريرةٍ،
وغيرهم: أنَّ المرادَ بالحسنة: «لا إلهَ إلا اللهُ»^(٢)،

(١) «أضواء البيان» (٣/٤٤٨، ٤٤٧).

(٢) انظر: «الدعاء» للطبراني (٣/١٤٩٧، ١٤٩٨).

وعن عكرمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ قَالَ: «قَوْلٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. قَالَ: لَهُ مِنْهَا خَيْرٌ؛ لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ خَيْرٌ مِنْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»^(١).

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الْمُسْنَدِ» وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَّمَنِي عَمَلًا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. فَقَالَ: «إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَاَعْمَلْ حَسَنَةً فَإِنَّهَا عَشْرُ أَمْثَالِهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَمِنَ الْحَسَنَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، هِيَ أَحْسَنُ الْحَسَنَاتِ»^(٢).



(١) أوردته ابن البنا في «فضل التهليل وثوابه الجزيل» (ص: ٧٤).

(٢) «المسند» (١٦٩/٥). و«الدعاء» للطبراني رقم (١٤٩٨) واللفظ له.

فَصَائِلُ أُخْرَى لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنَ السُّنَّةِ

تَحَدَّثْنَا فِيمَا سَبَقَ عَنْ فَصَائِلِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مِنْ خِلَالِ مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، تِلْكَ الْكَلِمَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي لِأَجْلِهَا قَامَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَخُلِقَتِ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَبِهَا أُرْسِلَ الرَّسُلُ، وَأُنزِلَتِ الْكُتُبُ، وَشُرِعَتِ الشَّرَائِعُ، وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتِ الْمَوَازِينُ، وَوُضِعَتِ الدَّوَاوِينُ، وَقَامَ سُوقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَانْقَسَمَتِ الْخَلِيقَةُ إِلَى مُؤْمِنِينَ وَكُفَّارٍ، وَأَبْرَارٍ وَفُجَّارٍ، فَهِيَ مَنْشَأُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَهِيَ الْحَقُّ الَّذِي أُسِّسَتْ عَلَيْهِ الْمِلَّةُ وَنُصِبَتِ الْقِبْلَةُ، وَعَنْهَا يُسْأَلُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا تَزُولُ قَدَمًا عَبْدٍ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ: مَاذَا

كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟

فجواب الأولى: تحقيق كلمة التوحيد: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

عِلْمًا وَإِقْرَارًا وَعَمَلًا.

وجواب الثانية: بتحقيق: أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، عِلْمًا

وَإِقْرَارًا وَانْقِيَادًا وَطَاعَةً^(١).

إِنَّ فَضَائِلَ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لَا يُمَكِّن

لِمَخْلُوقٍ عَدُّهَا، إِذْ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ

وَالْفَوَائِدِ الْجَمَّةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا لَا يَخْطُرُ بِبَالٍ، وَلَا

يَدُورُ فِي خِيَالٍ، وَلَعَلِّي أَسْتَعْرِضُ جَمَلَةً مِنْ فَضَائِلِ هَذِهِ

الْكَلِمَةِ مِنْ خِلَالِ مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* فَمِنْ فَضَائِلِهَا: أَنَّهَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ وَأَكْثَرُهَا تَضْعِيفًا،

وَتَعْدِلُ عِتْقَ الرَّقَابِ، وَتَكُونُ لِقَائِلِهَا حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ،

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن القيم (١/ ٣٤).

كما في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمَسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»^(١).

وفيهما أيضاً عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»^(٢).

* ومن فضائلها: أنها أفضل ما قاله النبيون، لما ثبت في

(١) «صحيح البخاري» (رقم: ٦٤٠٣)، و«صحيح مسلم» (رقم: ٢٦٩١).

(٢) «صحيح البخاري» (رقم: ٦٤٠٤)، و«صحيح مسلم» (رقم: ٢٦٩٣).

الحديث عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١)، وفي لفظٍ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٢).

* ومن فضائلها: أَنَّهَا تَرْجُحُ بِصِحَائِفِ الذُّنُوبِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاصِ رضي الله عنهما الْمُخْرَجِ فِي «المسند»، و«جامع الترمذي»، وغيرهما، بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي

(١) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (رقم: ٨٧٤) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع» (رقم: ٣٥٨٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٨٧/٤)، وقال: «الحديث ثابت بمجموع هذه الشواهد».

عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ
سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِنْهَا مَدُّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبَّ. فَيَقُولُ ﷻ: أَلَمْ عُدْرٌ
أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبَّ. فيقول ﷻ: بَلَى إِنَّ
لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِلِطَّةٍ فِيهَا:
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبَّ
مَا هَذِهِ الْبِلِطَّةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟! فَيَقُولُ ﷻ: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ،
قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِلِطَّةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتْ
السِّجِلَّاتُ وَثَقَلَتِ الْبِلِطَّةُ»^(١).

وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا قَدْ قَامَ بِقَلْبِهِ مِنَ الْإِيمَانِ مَا جَعَلَ
بِلِطَّتِهِ الَّتِي فِيهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَطْيِشُ بِتِلْكَ السِّجِلَّاتِ، إِذِ

(١) «المسند» (٢/٢١٣)، و«جامع الترمذي» (رقم: ٢٦٣٩)، و«سنن
ابن ماجه» (رقم: ٤٣٠٠). وصححه الألباني في «صحيح الجامع»
(رقم: ٨٠٩٥)

الناس متفاضلون في الأعمال بحسب ما يقوم بقلوبهم من الإيمان، وإلا فكم من قائل: لا إله إلا الله، لا يحصل له مثل هذا لضعف إيمانه بها في قلبه، فقد ورد في «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزَنْ شَعِيرَةٌ مِنْ خَيْرٍ، وَيُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزَنْ بُرَّةً مِنْ خَيْرٍ، وَيُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزَنْ ذَرَّةً مِنْ خَيْرٍ»^(١)، فدل ذلك على أن أهل: لا إله إلا الله، متفاوتون فيها بحسب ما قام في قلوبهم من إيمان.

* ومن فضائل هذه الكلمة: أنها لو وُزنت بالسموات والأرض رَجَحَتْ بهنَّ كما في «المسند» عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أَنَّ نوحاً قَالَ لِابْنِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ:

(١) «صحيح البخاري» (رقم: ٤٤)، و«صحيح مسلم»

(رقم: ٣٢٥، ١٩٣).

أَمْرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ كُنَّ حَلَقَةً مُبْهَمَةً لَقَصَمْتَهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١).

* ومن فضائلها: أنها ليس لها دون الله حجابٌ، بل تَخْرِقُ الْحُجُبَ حَتَّى تَصِلَ إِلَى اللَّهِ وَعَجَلًا، ففي «الترمذي»، بإسناد حسن، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا قَالَ عَبْدٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَطُّ مُخْلِصًا، إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ، مَا اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ»^(٢).

* ومن فضائلها: أنها نجاةٌ لِقَائِهَا مِنَ النَّارِ، ففي

(١) «المسند» (٢/ ١٧٠)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم: ١٣٤).

(٢) «جامع الترمذي» (٣٥٩٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم: ٥٦٤٨).

«صحيح مسلم»: أن النبي ﷺ سَمِعَ مُؤَدِّنًا يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ: «خَرَجَ مِنَ النَّارِ»^(١)، وَفِي «الصَّحِيحِينَ»، مِنْ حَدِيثِ عِتْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيَّ النَّارَ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»^(٢).

* وَمِنْ فَضَائِلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَعَلَهَا أَفْضَلَ شُعْبِ الْإِيمَانِ، فَفِي «الصَّحِيحِينَ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»^(٣).

* وَمِنْ فَضَائِلِهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّهَا أَفْضَلُ الذِّكْرِ كَمَا فِي «الترمذي» وغيره، مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

(١) «صحيح مسلم» (رقم: ٣٨٢).

(٢) «صحيح البخاري» (رقم: ٦٩٣٨)، و«صحيح مسلم» (رقم: ٢٦٣، ٣٣).

(٣) «صحيح البخاري» (رقم: ٩)، و«صحيح مسلم» (رقم: ٣٥).

قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ»^(١).

* ومن فضائلها: أَنَّ مَنْ قَالَهَا خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ يَكُونُ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشِفَاعَةِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا فِي «الصَّحِيحِ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشِفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَّ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَيَّ الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشِفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»^(٢).

(١) «جامع الترمذي» (رقم: ٣٣٨٣)، و«سنن ابن ماجه» (رقم: ٣٨٠٠)

وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم: ١١٠٤).

(٢) «صحيح البخاري» (رقم: ٩٩).

وفي قول النبي ﷺ في هذا الحديث: « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ » دليلٌ على أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا تُقْبَلُ مِنْ قَائِلِهَا بِمَجْرَدِ قَوْلِهِ لَهَا بِلِسَانِهِ فَقَطْ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ اسْتِيفَاءِ شُرُوطِهَا وَالْإِتْيَانِ بِقِيُودِهَا الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، إِذْ هِيَ لَا تُقْبَلُ مِنْ قَائِلِهَا إِلَّا بِذَلِكَ.



شُرُوطُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

لقد تقدّم معنا ذكرُ شيءٍ من فضائل كلمة التوحيد: لا إله إلا الله التي هي خيرُ الكلماتِ وأفضلُها وأجلُّها، وذكرُ ما يترتبُ عليها من أجورٍ كريمةٍ، وفضائلٍ عظيمةٍ، وثمارٍ نافعةٍ في الدنيا والآخرة، لكنْ يجبُ على المسلم أن يعلمَ أن لا إله إلا الله لا تُقبَلُ من قائلها بمجردِ نُطقه لها باللسان فقط، بل لا بدَّ من أداءِ حقِّها وفرضها، واستيفاءِ شروطِها الواردةِ في الكتابِ والسُّنةِ، وكلُّ مسلمٍ يعلمُ أن كلَّ طاعةٍ يتقربُ بها إلى الله لا تُقبَلُ منه إلا إذا أتى بشروطها، فالصلاةُ لا تُقبَلُ إلا بشروطها المعلومةِ، والحجُّ لا يُقبَلُ إلا بشروطه، وجميعُ العباداتِ كذلك لا تُقبَلُ إلا بشروطها المعلومةِ من

الكتابِ والسُّنَّةِ، وهكذا الشأنُ في: لا إلهَ إلا اللهُ، لا تُقبَلُ إلا إذا قامَ العبدُ بشروطها المعلومةِ في الكتابِ والسُّنَّةِ.

وقد أشارَ سلفنا الصالح - رحمهم الله - إلى أهميَّةِ العنايةِ بشروط: لا إلهَ إلا اللهُ، ووجوبِ الالتزامِ بها، وأنها لا تُقبَلُ إلا بذلك، ومن ذلك ما جاء عن الحسنِ البصريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: «إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: مَنْ قَالَ: لا إلهَ إلا اللهُ، دخلَ الجنةَ. فقال: مَنْ قَالَ: لا إلهَ إلا اللهُ، فأدَّى حَقَّهَا وفرضَها دخلَ الجنةَ».

وقال الحسنُ للفرزدقِ وهو يَدْفِنُ امرأته: «ما أَعَدَدْتَ لهذا اليوم؟ قال: شهادةٌ أن لا إلهَ إلا اللهُ منذ سبعينَ سنةً. فقال الحسن: نِعَمَ العُدَّة، لكن لا إلهَ إلا اللهُ شروطٌ، فإيَّاكَ وَقَدَفَ الْمُحْصَنَاتِ».

وقال وَهْبُ بنِ مَنْبَهٍ لمن سأله: «أليسَ مفتاحَ الجنةِ لا إلهَ

إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاحٍ إلا له أسنانٌ، فإن
أُتيتَ بمفتاحٍ له أسنانٌ فُتِحَ لك، وإلا لم يُفْتَحَ»، يُشير
بالأسنانِ إلى شروط: لا إله إلا الله^(١).

ثم إنه باستقراء أهل العلم لنصوص الكتاب والسنة تبين
أن: لا إله إلا الله لا تُقبلُ إلا بسبعة شروطٍ وهي:

١ - العلمُ بمعناها نفيًا وإثباتًا المُنافي للجهل.

٢ - اليقينُ المُنافي للشكِّ والرَّيبِ.

٣ - الإخلاصُ المُنافي للشركِ والرِّياءِ.

٤ - الصِّدقُ المُنافي للكذبِ.

٥ - المحبَّةُ المُنافية للبُغْضِ والكُرهِ.

٦ - الانقيادُ المُنافي للتَّركِ.

٧ - القبولُ المُنافي للرَّدِّ.

(١) أورد هذه الآثار ابن رجب في «كلمة الإخلاص» (ص: ١٤).

وقد جَمَعَ بعضُ أهلِ العلمِ هذه الشروطَ السبعةَ في بيتٍ
واحدٍ فقال:

عِلْمٌ يَقِينٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقٌ مَعُ

مَحَبَّةٍ وَانْقِيَادٍ وَالْقَبُولُ لَهَا

ولنقفَ وقفَةً مختصرةً مع هذه الشروطِ لبيانِ المرادِ
بكلِّ واحدٍ منها، مع ذكرِ بعضِ أدلتها من الكتابِ والسنة^(١).

* أما الشرطُ الأولُ: وهو العلمُ بمعناها المرادِ منها نفيًا
وإثباتًا المُنافي للجهل، وذلك بأن يَعْلَمَ مَنْ قالها أَنَّهَا تَنْفِي
جميعَ أنواعِ العبادةِ عن كلِّ من سِوَى الله، وَتُثْبِتُ ذلكَ لله
وحده، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة]. أي نعبُدُكَ ولا نعبُدُ غَيْرَكَ،
ونستعينُ بِكَ ولا نستعينُ بِسِوَاكَ.

(١) وانظر شرحها موسعًا في: «معارج القبول» للشيخ حافظ حكيمي

(١/٣٧٧ وما بعدها).

قال الله تعالى: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد:

١٩]، وقال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

[الزخرف: ٨٦] قال المفسرون: إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: معنى ما شهدوا به في قلوبهم وألسنتهم.

وثبت في «صحيح مسلم» من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١)، فاشترط عليه الصلاة والسلام العِلْمَ.

* وأما الشرط الثاني: فهو اليقينُ المُنافي للشكِّ والرَّيبِ،

أي: أن يكونَ قائلها موقناً بها يقيناً جازماً لا شكَّ فيه ولا

ريب، واليقينُ هو: تمامُ العلمِ وكمالُهُ، قال الله تعالى

في وصفِ المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ

وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١) «صحيح مسلم» (رقم: ٢٦).

أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ [الحجرات] ومعنى قوله:

﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ أي: أيقنوا ولم يشكوا.

وَبُتَّ فِي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

وَبُتَّ فِي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَقِيَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُسْتَيَقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ»^(٢)، فاشترطَ اليقين.

* والشرط الثالث: هو الإخلاص المنافي للشرك والرياء، وذلك إنما يكون بتصفية العمل وتنقيته من جميع الشوائب الظاهرة والخفية، وذلك بإخلاص النية في جميع العبادات لله وحده، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ﴾

(١) «صحيح مسلم» (رقم: ٢٧).

(٢) «صحيح مسلم» (رقم: ٣١).

[الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

الْدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]، وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « أَسْعَدُ النَّاسِ بِشِفَاعَتِي: مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ

إِلَّا اللَّهُ، خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ »^(١)، فاشترط الإخلاص.

* والشرط الرابع: هو الصدق المنافي للكذب، وذلك

بأن يقول العبد هذه الكلمة صادقاً من قلبه، والصدق

هو: أن يواطئ القلب اللسان، ولذا قال الله تعالى في ذم

المنافقين: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾

[المنافقون]، فوصفهم سبحانه بالكذب؛ لأن ما قالوه

بألسنتهم لم يكن موجوداً في قلوبهم، وقال سبحانه وتعالى:

﴿ أَلَمْ آتِ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا

(١) «صحيح البخاري» (رقم: ٩٩).

يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا
 وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت]، وثبت في «الصحيحين»
 عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أحدٍ
 يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صادقاً من
 قلبه إلا حرمه الله على النار»^(١)، فاشترط الصدق.

* الشرط الخامس: المحبة المنافية للبغض والكراهة، وذلك
 بأن يحب قائلها الله ورسوله ودين الإسلام والمسلمين القائمين
 بأوامر الله الواقفين عند حدوده، وأن يبغض من خالف لا إله إلا
 الله، وأتى بما يناقضها من شرك وكفر، ومما يدل على اشتراط
 المحبة في الإيمان: قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾
 [البقرة: ١٦٥]، وفي الحديث: «أوثق عرى الإيمان الحبُّ

(١) «صحيح البخاري» (رقم: ١٢٨٠)، و«صحيح مسلم» (رقم: ٣٢).

في الله وَالبُغْضُ في الله»^(١).

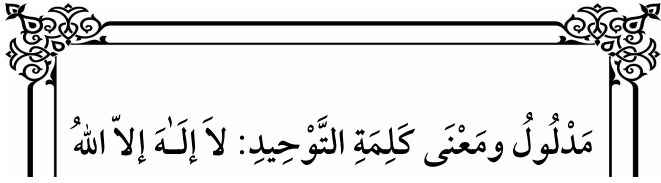
* والشرط السادس: القَبُولُ المُنَافِي للِرَدِّ، فلا بُدَّ مِن قَبُولِ هذه الكَلِمَةِ قَبولاً حَقاً بِالقَلْبِ وَاللِسَانِ، وَقد قَصَّ اللهُ عَلَينا في القُرْآنِ الكَرِيمِ أَنباءَ مَنْ سَبَقَ مِنَّمَن أَنجَاهُم لِقَبولِهِم لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَانتقامَهُ وَإِهْلاكَهُ لِمَن رَدَّها وَلم يَقْبَلْها، قالِ تَعالَى: ﴿ ثُمَّ نُحِجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١٠٣] وَقالِ سَبْحانَهُ في شَأْنِ المَشْرِكِينَ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذا قِيلَ لَهُم لا إِلَهَ إِلا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٣٥] وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَأْرِكُوا ءِلهَتنا لِشاعِرٍ مَّجْنونٍ ﴿ [الصافات].

* الشرط السابع: الانقيادُ المُنَافِي للتَّركِ؛ إِذ لا بُدَّ لِقائِلِ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ أَن يَنقادَ لِشَرعِ اللهِ، وَيُذَعِنَ لِحُكْمِهِ وَيُسَلِّمَ

(١) رواه أحمد في «المسند» (٤/٢٨٦)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (رقم: ١٧٢٨).

وَجَهَّهُ إِلَى اللَّهِ إِذْ بَدَلُكَ يَكُونُ مَتَمَسِّكَاً بِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلِذَا
يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ
أَسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: ٢٢]، أَي: فَقَدْ اسْتَمْسَكَ
بِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَاشْتَرَطَ سُبْحَانَهُ الْإِنْقِيَادَ لِشَرَعِ اللَّهِ، وَذَلِكَ
بِاسْلَامِ الْوَجْهِ لَهُ سُبْحَانَهُ.

فَهَذِهِ هِيَ شَرُوطُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهَا عَدُّ
الْفَاضِلِهَا وَحِفْظُهَا فَقَطْ، فَكَمْ مِنْ عَامِّيٍّ اجْتَمَعَتْ فِيهِ
وَالْتَزَمَهَا وَلَوْ قِيلَ لَهُ: اَعْدُدْهَا لَمْ يُحْسِنِ ذَلِكَ، وَكَمْ مِنْ
حَافِظٍ لِأَلْفَاضِلِهَا يَجْرِي فِيهَا كَالسَّهْمِ، وَتَرَاهُ يَقَعُ كَثِيراً فِيمَا
يُنَاقِضُهَا، فَالْمَطْلُوبُ إِذَا الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ مَعاً لِيَكُونَ الْمَرْءُ
بِذَلِكَ مِنْ أَهْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ صِدْقاً، وَمِنْ أَهْلِ كَلِمَةِ
التَّوْحِيدِ حَقّاً، وَالْمُؤَفَّقُ لِذَلِكَ وَالْمُعِينُ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ،
فَنَسَأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُؤَفِّقَنَا لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.



إِنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الَّتِي هِيَ خَيْرُ الذِّكْرِ
وَأَفْضَلُهُ وَأَكْمَلُهُ، لَا تَكُونُ مَقْبُولَةً عِنْدَ اللَّهِ بِمَجْرَدِ التَّلْفِظِ بِهَا
بِاللِّسَانِ فَقَطْ، دُونَ قِيَامِ مِنَ الْعِبَادِ بِحَقِيقَةِ مَدْلُولِهَا، وَتَطْبِيقِ
لِأَسَاسِ مَقْصُودِهَا مِنْ نَفْيِ الشَّرْكِ وَإِثْبَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ لِلَّهِ، مَعَ
الْإِعْتِقَادِ الْجَازِمِ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ ذَلِكَ وَالْعَمَلِ بِهِ، فَبِذَلِكَ يَكُونُ
الْعَبْدُ مُسْلِمًا حَقًّا، وَبِذَلِكَ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْعَظِيمَةُ أَنَّ مَا سِوَى اللَّهِ لَيْسَ
بِإِلَهِ، وَأَنَّ الْإِلَهِيَّةَ مَا سِوَاهُ أَبْطُلَ الْبَاطِلِ، وَإِثْبَاتُهَا أَظْلَمُ الظُّلْمِ،
وَمُنْتَهَى الضَّلَالِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ

﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾

[الأحقاف]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ

وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ

الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ

لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ [لقمان: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ

هُمْ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ [البقرة: ٢٥٤]، والظلم هو وضع الشيء

في غير موضعه، ولا ريب أن صرف العبادة لغير الله ظلم؛

لأنه وضع لها في غير موضعها، بل إنه أظلم الظلم وأخطره.

إنَّ لِ: لا إله إلا الله - هذه الكلمة العظيمة - مدلولاً لا

بُدَّ من فهمه، ومعنى لا بُدَّ من ضبطه، إذ غير نافع بإجماع

أهل العلم النطق بهذه الكلمة من غير فهم لمعناها، ولا

عمل بما تقتضيه، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ

يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

[الزخرف: ٨٦]، ومعنى الآية كما قال أهل التفسير: أي:

إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِإِلَهٍ إِلَّا اللَّهَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ بِقُلُوبِهِمْ مَعْنَى مَا

نَطَقُوا بِهِ بِالْأَسْتِثْمِ، إِذْ إِنَّ الشَّهَادَةَ تَقْتَضِي الْعِلْمَ بِالْمَشْهُودِ

بِهِ، فَلَوْ كَانَتْ عَنْ جَهْلٍ لَمْ تَكُنْ شَهَادَةً، وَتَقْتَضِي الصِّدْقَ،

وَتَقْتَضِي الْعَمَلَ بِذَلِكَ، وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ لَا بَدَّ فِي هَذِهِ

الْكَلِمَةِ مِنَ الْعِلْمِ بِهَا مَعَ الْعَمَلِ وَالصِّدْقِ، فَبِالْعِلْمِ يَنْجُو

الْعَبْدُ مِنْ طَرِيقَةِ النَّصَارَى الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِإِلَهِمْ، وَبِالْعَمَلِ

يَنْجُو مِنْ طَرِيقِ الْيَهُودِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَلَا يَعْمَلُونَ،

وَبِالصِّدْقِ يَنْجُو مِنْ طَرِيقَةِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ مَا لَا

يُخْفُونَ، وَيَكُونُ بِذَلِكَ مِنْ أَهْلِ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، مِنْ

الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ.

وَالْحَاصِلُ أَنَّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا تَنْفَعُ إِلَّا مَنْ عَرَفَ مَدْلُوكَهَا

نفيًا وإثباتًا، واعتقدَ ذلك وعَمِلَ به، أمّا مَنْ قالها وعَمِلَ بها
 ظاهرًا مِنْ غيرِ اعتقادٍ فهو المنافقُ، وأمّا مَنْ قالها وعَمِلَ
 بِضِدِّهَا وخِلَافِهَا مِنَ الشُّرْكِ فهو الكافر، وكذلك مَنْ قالها
 وارْتَدَّ عَنِ الإِسْلَامِ بِانْكَارِ شَيْءٍ مِنْ لَوَازِمِهَا وَحَقُوقِهَا فَإِنَّهَا
 لَا تَنْفَعُهُ، وَلَوْ قَالَهَا أَلْفَ مَرَّةٍ، وَكَذَلِكَ مَنْ قَالَهَا وَهُوَ يَصْرِفُ
 أَنْوَاعًا مِنَ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ كَالدَّعَاءِ، وَالذَّبْحِ، وَالنَّذْرِ،
 وَالِاسْتِغَاثَةِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالْإِنَابَةِ، وَالرَّجَاءِ، وَالْخَوْفِ
 وَالْمَحَبَّةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِمَّا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ
 مِنَ الْعِبَادَاتِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَلَوْ نَطَقَ بِلَا
 إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ إِذْ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا تَقْتَضِيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِحْلَاصِ
 الَّذِي هُوَ مَعْنَى وَمَدْلُولُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ^(١).

فَإِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ حَقًّا إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ،

(١) انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص: ٧٨).

وَهُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْإِلَهَ فِي اللُّغَةِ: هُوَ الْمَعْبُودُ،
 وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: أَي: لَا مَعْبُودَ حَقًّا إِلَّا اللَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى:
 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
 أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥] مع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ
 بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
 الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ مَعْنَى الْإِلَهِ هُوَ
 الْمَعْبُودُ، وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَعْنَاهَا: إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ
 وَحْدَهُ وَاجْتِنَابُ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَلِهَذَا لَمَّا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ
 لِكُفَّارِ قَرِيشٍ: قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالُوا: ﴿أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا
 وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص]، وَقَالَ قَوْمٌ هُودٍ لِنَبِيِّهِمْ
 لَمَّا قَالَ لَهُمْ: قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالُوا: ﴿أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ
 وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]،

قالوا ذلك وهو إنما دعاهم إلى لا إله إلا الله؛ لأنهم فهموا أن المراد بها نفي الألوهية عن كل من سوى الله وإثباتها لله وحده لا شريك له، ف: لا إله إلا الله اشتملت على نفي وإثبات، فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى، فكل ما سوى الله من الملائكة والأنبياء - فضلاً عن غيرهم - فليس بإله، وليس له من العبادة شيء، وأثبتت الإلهية لله وحده، بمعنى أن العبد لا يأله غيره، أي: لا يقصده بشيء من التآله، وهو تعلق القلب الذي يوجب قصده بشيء من أنواع العبادة، كالدعاء والذبح والنذر، وغير ذلك.

وقد جاء في القرآن الكريم نصوص كثيرة تبيّن معنى كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، وتوضح المراد بها، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ

الرَّحِيمِ ﴿١١٣﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا

اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي

فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ

يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ [الزخرف]، وقال تعالى حكاية عن مؤمن

يس: ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾

ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرَدِّدِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي

شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

﴿٢٤﴾ [يس]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ

الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ

رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ [الزمر]،

وقال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: ﴿ وَيَقْوِمُ مَا لِي

أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي
 لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ، مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى
 الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي
 الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ
 أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ [غافر]، والآياتُ في هذا المعنى
 كثيرةٌ جدًّا، وهي تُبَيِّنُ أَنَّ معنى: لا إله إلا الله: هو البراءةُ مِنْ
 عبادةِ ما سِوَى اللَّهِ مِنَ الشُّفَعَاءِ وَالْأَنْدَادِ، وَإِفْرَادُ اللَّهِ وَحْدَهُ
 بالعبادة، فهذا هو الهدى ودينُ الحَقِّ الَّذِي أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ
 رِسَالَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ، أَمَا قَوْلُ الْإِنْسَانِ: لا إله إلا الله، مِنْ
 غيرِ معرفةٍ لمعناها، وَلَا عَمَلٍ بِمَقْتَضِهَا، بَلْ لَرُبَّمَا جَعَلَ
 لِغَيْرِ اللَّهِ حِطًّا وَنَصِيبًا مِنْ عِبَادَتِهِ مِنْ الدُّعَاءِ وَالْخَوْفِ
 وَالذَّبْحِ وَالنَّذْرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ فَإِنَّ هَذَا لَا
 يَكْفِي الْعَبْدَ لِأَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ: لا إله إلا الله، وَلَا يَنْجِيهِ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ^(١).

فليست: لا إله إلا الله اسماً لا معنى له، أو قولاً لا حقيقة له، أو لفظاً لا مضمون له، كما قد يظنُّه بعض الظَّالِمِينَ، الذين يعتقدون أنَّ غايةَ التحقيقِ في ذلك هو النطقُ بهذه الكلمةِ مِنْ غيرِ اعتقادٍ في القلبِ بشيءٍ مِنَ المعاني، أو التلَفُّظُ بها مِنْ غيرِ إقامةٍ لشيءٍ مِنَ الأصولِ والمباني، وهذا قطعاً ليس هو شأنُ هذه الكلمةِ العظيمة، بل هي اسمٌ لمعنى عظيمٍ، وقولٌ له معنى جليلٌ، هو أَجَلٌ مِنْ جميعِ المعاني، وحاصلُهُ كما تقدَّمَ: البراءةُ مِنْ عبادَةِ كُلِّ ما سِوَى الله، والإقبالُ على الله وحده خضوعاً وتذلُّلاً، وطمعاً ورَغْباً، وإنابةً وتوَكُّلاً، ودُعاءً وطلباً، فصاحبُ: لا إله إلا الله لا يَسألُ إلا الله، ولا يستغيثُ إلا بالله، ولا يتوكَّلُ إلا

(١) انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص: ١٤٠).

على الله، ولا يرجو غير الله، ولا يذبح إلا لله، ولا يصرفُ
شيئاً من العبادة لغير الله، ويكفرُ بجميع ما يُعبدُ من دونِ
الله، ويرأى إلى الله من ذلك.

فيا لها من مسألةٍ ما أجلّها! ويا له من أمرٍ ما أبينهُ وأوضحهُ،
ولكنّ التّوفيقَ بيدِ الله وحده، وهو وحده المستعان.

نَوَاقِصُ شَهَادَةِ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

لقد مرَّ معنا شروطُ كلمةِ التوحيد: لا إلهَ إلا اللهُ، التي لا بدَّ من توفُّرها في العبدِ لتكونَ مقبولةً منه عند الله، وهي شروطٌ عظيمةُ الشأن، جليلةُ القدرِ، يجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يُعنى بها عنايةً كبيرةً، ويهتمَّ بها اهتماماً بالغاً، وإنَّ مما ينبغي أن يهتمَّ به المسلمُ في هذا البابِ العظيمِ معرفةَ نواقصِ هذه الكلمةِ، ليكونَ منها في حذرٍ، فإنَّ اللهَ تبارك وتعالى قد بيَّنَ في كتابه سبيلَ المؤمنينِ المُحقِّقين لهذه الكلمةِ مفصَّلةً، وبيَّنَ سبيلَ المجرمينِ المخالفينَ لها مفصَّلةً، وبيَّنَ سبحانه عاقبةَ هؤلاءِ وعاقبةَ هؤلاءِ، وأعمالَ هؤلاءِ وأعمالَ هؤلاءِ، والأسبابَ التي وفَّقَ بها هؤلاءِ

والأسباب التي خذَل بها هؤلاء، وجرى سبحانه الأمرين في كتابه وكشفهما وأوضحهما وبينهما غاية البيان، كما قال

سبحانه: ﴿ وَكَذَلِكَ نَفِصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ

﴿ ٥٥ ﴾ [الأنعام]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ

بَعْدِ مَا نُبِّئَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ

وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿ ١١٥ ﴾ [النساء]، ومن لم

يعرف سبيل المجرمين ولم تستب له طريقهم، أو شك أن

يقع في بعض ما هم فيه من الباطل، ولذا قال أمير المؤمنين

عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة

عروة، إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية»^(١).

ولهذا جاءت النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة

(١) انظر: «الفوائد» لابن القيم (ص: ٢٠١ وما بعدها).

المُحذَرَةُ من أسبابِ الرَّدَّةِ وسائرِ أنواعِ الشُّركِ والكفرِ
المُنَاقِضَةِ لكلمَةِ التوحيدِ: لا إلهَ إلا اللهُ، وقد ذَكَرَ العلماءُ
رحمَهُم اللهُ في بابِ حُكْمِ المُرتدِّ مِنْ كُتُبِ الفقهِ: أَنَّ المُسْلِمَ
قَدْ يَرتدُّ عن دينِهِ بِأنواعٍ كثيرةٍ مِنَ النِّواقِضِ، إِذَا وَقَعَ فِيهَا، أَوْ
في أَيِّ شَيْءٍ مِنْهَا، ارْتَدَّ عن الدِّينِ وانتَقَلَ مِنَ المِلَّةِ، وَلَمْ
يَنْفَعْهُ مُجَرَّدُ التَّلَفُّظِ بِ لا إلهَ إلا اللهُ؛ إِذْ إِنَّ هَذِهِ الكَلِمَةَ
العَظِيمَةَ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الذِّكْرِ وَأَفْضَلُهُ، لا تَكُونُ نَافِعَةً لِقَائِلِهَا
إِلَّا إِذَا أَتَى بِشروطِهَا واجْتَنَبَ كُلَّ أمرٍ يُنَاقِضُهَا.

وما مِنْ ريبٍ أَنَّ في مَعْرِفَةِ المُسْلِمِ لِهَذِهِ النِّواقِضِ فَائِدَةٌ
عَظِيمَةٌ في الدِّينِ، إِذَا عَرَفَهَا مَعْرِفَةً يَقْصِدُ مِنْ ورائِهَا السَّلَامَةَ
مِنْ هَذِهِ الشُّرُورِ، وَالنِّجَاةَ مِنْ تِلْكَ الآفَاتِ، وَلِهَذَا فَإِنَّ مَنْ
عَرَفَ الشُّرْكَ وَالكَفَرَ وَالْبَاطِلَ وطُرُقَهُ وَأَبْغَضَهَا وَحَذَرَهَا
وَحَذَرَ مِنْهَا وَدَفَعَهَا عن نَفْسِهِ وَلَمْ يَدْعُهَا تَحْدِثِ إِيمَانِهِ، بَلْ

يزدادُ بِمَعْرِفَتِهَا بَصِيرَةً فِي الْحَقِّ وَمَحَبَّةً لَهُ، وَكَرَاهَةً لِتِلْكَ
 الْأُمُورِ وَنُفْرَةً عَنْهَا كَانَ لَهُ فِي مَعْرِفَتِهِ هَذِهِ مِنَ الْفَوَائِدِ
 وَالْمَنَافِعِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يُحِبُّ أَنْ تُعْرَفَ
 سَبِيلُ الْحَقِّ لِتُحَبَّ وَتُسَلَّكَ، وَيُحِبُّ أَنْ تُعْرَفَ سَبِيلُ الْبَاطِلِ
 لِتُجْتَنَّبَ وَتُبْغَضَ؛ إِذْ إِنَّ الْمُسْلِمَ كَمَا أَنَّه مُطَالِبٌ بِمَعْرِفَةِ
 سَبِيلِ الْخَيْرِ لِيُطَبَّقَهَا، فَهُوَ كَذَلِكَ مُطَالِبٌ بِمَعْرِفَةِ سَبِيلِ الشَّرِّ
 لِيَحْذَرَهَا، وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِينَ» عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ
 الْيَمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ الصَّحَابَةُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 عَنِ الْخَيْرِ، وَكَنتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»^(١).

ولهذا أيضاً قيل:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ
 رَلِكُنْ لِتَوَقُّيهِ

(١) «صحيح البخاري» (رقم: ٣٦٠٦)، و«صحيح مسلم»
 (رقم: ١٨٤٧).

وَمَنْ لَا يَعْرِفِ الشَّرَّ

مِنَ النَّاسِ يَقَعُ فِيهِ

وإذا كان الأمر بهذه الحالِ وعلى هذا القدرِ مِنَ الأهمية فإنَّ الواجبَ على كلِّ مسلم أن يعرفَ الأمورَ التي تُناقضُ كلمةَ التوحيد: لا إلهَ إلا اللهُ، لِيكونَ منها على حَذَرٍ، وهي - كما تقدَّم - تنتقضُ بأمورٍ كثيرةٍ، إلا أنَّ أشدَّ هذه النواقضِ حَظَرًا وأكثرها وُقوعًا عَشْرَةُ نواقضٍ ذَكَرَها غَيْرٌ واحدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ رحمهم اللهُ^(١)، وفيما يلي ذِكْرٌ لهذه النواقضِ على سبيل الإيجازِ، لِيَحذَرَها المُسلم، وليَحذَرَ منها غيره مِنَ المسلمین رجاءَ السَّلامَةِ والعافيةِ منها.

أما الأول: فهو الشركُ في عبادةِ اللهِ، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ

اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

(١) انظر: «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/ ٢٣٢ وما بعدها).

[النساء: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢]، وَمِنْ ذَلِكَ: دعاءُ الأموات والاستغاثةُ بهم، والنذرُ والذبحُ لهم، ونحوُ ذلك.

الثاني: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ، وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ، وَيَتَوَكَّلَ عَلَيْهِمْ، فَقَدْ كَفَرَ إِجْمَاعًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْتَبَهُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس].

الثالث: مَنْ لَمْ يُكْفِرِ الْمُشْرِكِينَ أَوْ شَكَ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، كَفَرَ.

الرابع: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ هَدْيَ غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَكْمَلُ مِنْ هُدْيِهِ، أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ، فَهُوَ كَافِرٌ؛ كَالَّذِينَ

يُفَضِّلُونَ حُكْمَ الطَّاغُوتِ عَلَى حُكْمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

الخامس: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَلَوْ

عَمِلَ بِهِ فَقَدْ كَفَرَ؛ لقوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ﴿٦١﴾ [محمد].

السادس: مَنْ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ ﷺ أَوْ ثَوَابِهِ

أَوْ عِقَابِهِ كَفَرَ، والدليلُ قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ

وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ

إِيْمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

السابع: السَّحْرُ، وَمِنْهُ الصَّرْفُ وَالْعَطْفُ، فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ

رَضِيَ بِهِ، كَفَرَ، والدليلُ قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ

حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثامن: مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ،

والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١].

التاسع: مَنْ اعتقدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَن شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فهو كافرٌ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

العاشر: الإعراضُ عَن دِينِ اللَّهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ، والدليلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢].

فهذه عَشْرَةٌ أُمُورٍ مِنْ نَوَاقِضِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - انْتَقَضَ تَوْحِيدُهُ، وَانْهَدَمَ إِيمَانُهُ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِقَوْلِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَقَدْ

نَصَّ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّهُ لَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النِّوَاقِضِ بَيْنَ
الْهَازِلِ وَالْجَادِّ، وَالْخَائِفِ، إِلَّا الْمُكْرَةَ، وَجَمِيعُ هَذِهِ
النِّوَاقِضِ هِيَ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَأَكْثَرِ مَا يَكُونُ
وُقُوعًا، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهَا وَيَخَافَ مِنْهَا عَلَى
نَفْسِهِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَوْجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ، وَنَسْأَلُهُ
سُبْحَانَهُ أَنْ يُؤَفِّقَنَا جَمِيعًا لِمَا يُرْضِيهِ، وَأَنْ يَهْدِينَا وَجَمِيعَ
الْمُسْلِمِينَ صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ قَرِيبٌ.



بَيَانُ فَسَادِ الذِّكْرِ بِالْأَسْمِ الْمُفْرَدِ مُظْهِراً أَوْ مُضْمِراً

كان الحديث - فيما مضى - في بيانِ فضلِ كلمةِ التوحيد: لا إله إلا الله، وأنها خيرٌ ما ذَكَرَ به الذاكرون ربَّهم، وأفضلُ ما لَهَجَتْ به ألسنتهم، وهي كلمةٌ يسيرٌ لفظها، عظيمٌ معناها، وحاجةُ العبادِ إليها هي أعظمُ الحاجات، وضرورتهم إليها هي أعظمُ الصُّرُورَاتِ، بل إنَّ حاجَتَهُمْ وضرورتَهُمْ إليها أعظمُ مِنْ حاجتهم وضرورتهم إلى طعامِهِمْ وشرابِهِمْ ولباسِهِمْ وسائرِ شؤونِهِمْ، ولمَّا كان بالناسِ - بل بالعالمِ كلِّه - مِنَ الضَّرُورَةِ إِلَى: لا إله إلا الله، ما لا نهايةَ له ولا حَدَّ كانتْ مِنْ أَكْثَرِ الأذكارِ وجوداً، وأيسرها حصولاً، وأعظمها معنى، وأجلها مكانةً، ومَعَ هذا

كُلِّهِ، فَإِنَّ بَعْضَ الْعَوَامِّ وَالْجُهَّالِ يَعْدِلُونَ عَنْهَا، وَيَنْصَرِفُونَ إِلَى دَعَوَاتٍ مَبْتَدَعَةٍ، وَأَذْكَارٍ مَخْتَرَعَةٍ لَيْسَتْ فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ، وَلَيْسَتْ مَأْثُورَةً عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ^(١).

وَمِنْ ذَلِكَ: مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الطَّرِيقِيَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّصَوُّفِ فِي أَذْكَارِهِمْ، حَيْثُ يَذْكُرُونَ الْأَسْمَ الْمُفْرَدَ مُظْهِرًا فَقَطُّ، فَيَقُولُونَ: (اللَّهُ، اللَّهُ)، يُكْرَرُونَ لَفْظَ الْجَلَالَةِ، وَرُبَّمَا أَتَى بَعْضُهُمْ بِدَلٍّ ذَلِكَ بِالْأَسْمِ الْمُضْمَرِ (هُوَ) مُكْرَّرًا، وَقَدْ يَغْلُو بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ فَيَجْعَلُ ذِكْرَ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِلْعَامَّةِ، وَذِكْرَ الْأَسْمِ الْمُفْرَدِ لِلْخَاصَّةِ، وَذِكْرَ الْأَسْمِ الْمُضْمَرِ لِلْخَاصَّةِ الْخَاصَّةِ، وَرُبَّمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لِلْمُؤْمِنِينَ، وَ(اللَّهُ) لِلْعَارِفِينَ، وَ(هُوَ) لِلْمُحَقِّقِينَ، فَيَفْضَلُونَ

(١) انظر: «فتح المجيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ

(ص: ٤٥).

بذلك ذَكَرَ الاسمِ المفردِ مُظهِرًا، أو ذَكَرَهُ مضمراً على كلمةِ التوحيدِ لا إلهَ إلا اللهُ التي وصفها رسولُ اللهِ ﷺ بأنها أفضلُ الذِّكْرِ، وأنها أفضلُ ما قاله عليه الصلاة والسلام هوَ والنبِيُّونَ مِنْ قَبْلِهِ، وقد سَبَقَ أَنْ مَرَّ معنا بعضُ الأحاديثِ الدالَّةِ على ذلك، هذا مع أَنَّ ذَكَرَ الاسمِ المفردِ مُظهِرًا أو ذَكَرَهُ مضمراً ليس بمشروعٍ في الكتابِ ولا في السُّنَّةِ، ولا هو مأثورٌ عن أحدٍ مِنْ سَلَفِ الأُمَّةِ، وَإِنَّمَا لَهَجَ به قومٌ مِنْ ضلَّالِ المُتأخِّرينَ بلا حُجَّةٍ ولا برهانٍ.

وقد فنَّدَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللهُ دعاوى هؤلاءِ في ذَكَرِهِمُ المُحَدَّثِ هذا، وبَيَّنَّ فسادَ ما قد يتشبَّثونَ به لنُصْرَتِهِ وتقريره، فقال رَحِمَهُ اللهُ: «وربَّما ذَكَرَ بعضُ المصنِّفينَ في الطريقِ تعظيمَ ذلكِ واستدلالَ عليه تارةً بِوَجْدٍ، وتارةً بِرأيٍ، وتارةً بنقلٍ مكذوبٍ، كما يروي بعضهم أَنَّ النبيَّ ﷺ لَقَنَّ

عليّ بن أبي طالب أن يقول: «الله، الله، الله، فقالها النبي ﷺ ثلاثاً ثم أمر عليّاً، فقالها ثلاثاً»، وهذا حديث موضوعٌ باتفاق أهل العلم بالحديث، وإنّما كان تلقينُ النبي ﷺ للذكرِ المأثورِ عنه، ورأسُ الذكرِ: لا إله إلا اللهُ، وهي الكلمةُ التي عَرَضَها على عمّه أبي طالب حين الموتِ، وقال: «يا عمّ، قُل: لا إله إلا اللهُ، كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ»^(١)، وقال: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ عِنْدَ الْمَوْتِ إِلَّا وَجَدَ رُوحَهُ لَهَا رَوْحًا»^(٢)، وقال: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣)، وقال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ

(١) رواه البخاري رقم (٣٨٨٤) ومسلم رقم (٢٤) من حديث المسيب بن رُوَيْحَةَ.

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢٨ / ١) واللفظ له وابن ماجه رقم

(٣٧٩٥) من حديث طلحة بن عبيد الله.

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٥ / ٢٤٧) وأبو داود رقم (٣١١٦) من

حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا
فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا،
وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(١)، والأحاديثُ كثيرةٌ في هذا المعنى.

ثم قال: «فأما ذكرُ الاسمِ المُفردِ فلم يُشرعْ بحالٍ، وليس في
الأدلة الشرعية ما يدلُّ على استحبابه، وأمَّا ما يتوَهَّمُه طائفةٌ من

غالطي المتعبدين في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾

[الأنعام: ٩١]، ويتوَهَّمون أنَّ المراد قولُ هذا الاسمِ، فخطأ

واضحٌ، ولو تدبَّروا ما قبل هذا تبينَ مرادُ الآية، فإنه سبحانه

قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ

مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَوهُ

حديث معاذ ابن جبل رضي الله عنه وحسنه الألباني في «إرواء الغليل» رقم

(٦٨٧).

(١) رواه البخاري (رقم ٢٥) ومسلم (رقم ٢٢).

قَرَأْتِيسَ بُدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ
 اللَّهُ ﴿[الأنعام: ٩١]، أي: قل: الله أنزل الكتاب الذي جاء به
 موسى، فهذا كلام تام، وجملة اسمية مركبة من مبتدأ وخبر،
 حذف الخبر منها لدلالة السؤال على الجواب، وهذا قياس
 مُطَرِّدٌ فِي مِثْلِ هَذَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ...».

وَذَكَرَ أَمْثَلَةً عَلَى ذَلِكَ، إِلَى أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ ظَهَرَ
 بِالْأَدَلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَحَبٍّ - أَي: الذِّكْرُ بِالِاسْمِ
 الْمَفْرَدِ مِنْ غَيْرِ كَلَامٍ تَامٍ - وَكَذَلِكَ بِالْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الذُّوقِيَّةِ،
 فَإِنَّ الْإِسْمَ وَحْدَهُ لَا يُعْطَى إِيمَانًا وَلَا كُفْرًا، وَلَا هُدًى وَلَا
 ضَلَالًا، وَلَا عِلْمًا وَلَا جَهْلًا...».

إِلَى أَنْ قَالَ: «وَلِهَذَا اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وَسَائِرِ
 اللُّغَاتِ عَلَى أَنَّ الْإِسْمَ وَحْدَهُ لَا يَحْسُنُ السُّكُوتُ عَلَيْهِ، وَلَا
 هُوَ جَمَلَةٌ تَامَةٌ وَلَا كَلَامًا مُفِيدًا، وَلِهَذَا سَمِعَ بَعْضُ الْعَرَبِ

مؤذناً يقول: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: فعَلْ ماذا؟
فإنه لما نَصَبَ الاسمَ، صارَ صفةً، والصفةُ مِنْ تمامِ
المَوْصُوفِ، فَطَلَبَ - بِصِحَّةِ طَبَعِهِ - الخبرَ المفيدَ، ولكنَّ
المؤذَّنَ قَصَدَ الخبرَ وَلَحَنَ، وَلَوْ كَرَّرَ الإنسانُ اسمَ اللهِ أَلْفَ
أَلْفِ مرَّةٍ، لَمْ يَصِرْ بذلكَ مؤمناً، ولم يستحقَّ ثوابَ اللهِ ولا
جَنَّتُهُ، فَإِنَّ الكُفَّارَ مِنْ جميعِ الأديانِ يذكرونَ الاسمَ مُفْرَدًا،
سواءً أقرُّوا به وبوحدانيَّته أم لا، حتى إنَّه لَمَّا أَمَرْنَا بِذِكْرِ
اسمِهِ كقولِهِ: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ ﴾
[المائدة: ٤]، وقولِهِ: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ
عَلَيْهِ ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقولِهِ: ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾
[الأعلى: ١]، وقولِهِ: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾
[الواقعة: ٧٤]، ونحو ذلك، كان ذكرُ اسمِهِ بكلامٍ تامٍّ، مثلُ

أَنْ يَقُولَ: بِاسْمِ اللَّهِ، أَوْ يَقُولَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى،
وَسُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَلَمْ يُشْرَعْ ذِكْرُ الْأَسْمِ
الْمَجْرَدِ قَطُّ، وَلَا يَحْصُلُ بِذَلِكَ امْتِثَالُ أَمْرٍ، وَلَا حِلُّ صَيْدٍ
وَلَا ذَبِيحَةٍ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ».

إِلَى أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَثَبَّتْ بِمَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ ذِكْرَ الْأَسْمِ
الْمَجْرَدِ لَيْسَ مُسْتَحَبًّا، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ هُوَ ذِكْرَ الْخَاصَّةِ،
وَأَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ ذِكْرُ الْأَسْمِ الْمَضْمَرِ، وَهُوَ: (هُوَ)، فَإِنَّ هَذَا
بِنَفْسِهِ لَا يَدُلُّ عَلَى مَعْيَنٍ، وَإِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ مَا يُفْسِّرُهُ مِنْ
مَذْكُورٍ أَوْ مَعْلُومٍ فَيَبْقَى مَعْنَاهُ بِحَسَبِ قَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ وَنِيَّتِهِ»^(١).

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: «وَالذُّكْرُ بِالْأَسْمِ الْمَضْمَرِ الْمَفْرَدِ أَبْعَدُ
مِنَ السُّنَّةِ وَأَدْخَلَ فِي الْبِدْعَةِ وَأَقْرَبُ إِلَى إِضْلَالِ الشَّيْطَانِ...».

إِلَى أَنْ قَالَ: «وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ الْمَشْرُوعَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/٥٥٦-٥٦٥).

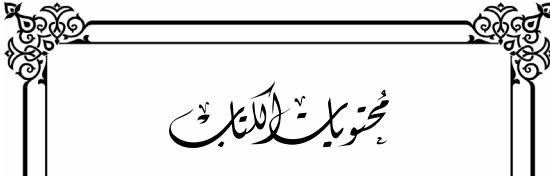
سبحانه هو ذِكْرُهُ بِجُمْلَةٍ تَامَّةٍ، وهو المسمَّى بالكلام،
والواحدُ منه بالكلمة، وهو الذي ينفَعُ القلوبَ، وَيَحْصُلُ بِهِ
الثَّوَابُ وَالْأَجْرُ، وَالْقُرْبُ إِلَى اللَّهِ وَمَعْرِفَتُهُ وَمَحَبَّتُهُ وَخَشْيَتُهُ،
وغيرُ ذلكِ مِنَ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ وَالْمَقاصِدِ السَّامِيَةِ، وَأما
الاقْتِصَارُ عَلَى الْاسْمِ الْمَفْرَدِ مُظْهِرًا أَوْ مُضْمَرًا، فلا أصلَ
له، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذِكْرِ الْخَاصَّةِ وَالْعَارِفِينَ، بل هو
وسيلةٌ إِلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْبِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ، وَذَرِيعَةٌ إِلَى
تَصَوُّرَاتٍ فَاسِدَةٍ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ الْإِلْحَادِ وَأَهْلِ الْإِتِّحَادِ...
وَجَمَاعُ الدِّينِ أَصْلَانِ: أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ، وَلَا نَعْبُدَهُ إِلَّا بِمَا
شَرَعَ، لَا نَعْبُدُهُ بِالْبِدَعِ»^(١). اهـ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ، وَفِيهِ مِنَ التَّحْقِيقِ
وَالْبَيَانِ مَا لَا يَدْعُ مَجَالًا لِلتَّرَدُّدِ فِي الْأَمْرِ، وَالْحَقُّ أَبْلَجٌ.

إِنَّ تَكَالِبَ هَؤُلَاءِ عَلَى هَذِهِ الْأَذْكَارِ الْمُحَدَّثَةِ، الَّتِي لَا

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ١٣٤ - ٢٢٧).

أَصْلَ لَهَا فِي دِينِ اللَّهِ، وَلَا أَسَاسَ لَهَا مِنْ شَرْعِهِ، وَتَرَكَهُمْ فِي
مُقَابِلِ ذَلِكَ السُّنَنِ الصَّحِيحَةِ، وَالْأَذْكَارِ الشَّرْعِيَّةِ، لِيُثِيرُ فِي
الْمُسْلِمِ تَسَاؤُلَاتٍ وَتَسَاؤُلَاتٍ: مَا الَّذِي حَمَلَ هَؤُلَاءِ عَلَى
الْإِنْصِرَافِ عَنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ وَالرَّغْبَةِ عَنْ سُنَّتِهِ، إِلَى أُمُورٍ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، وَأَذْكَارٍ لَيْسَ عَلَيْهَا فِي الشَّرْعِ أَيُّ
دَلِيلٍ وَلَا بُرْهَانٍ، ثُمَّ مَعَ هَذَا يُعْظَمُونَهَا غَايَةَ التَّعْظِيمِ
وَيَفْخَمُونَ شَأْنَهَا، وَيُقَلِّلُونَ مِنْ شَأْنِ الْأَدْعِيَةِ النَّبَوِيَّةِ،
وَالْأَذْكَارِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَقُولُهَا سَيِّدُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ،
وَخَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامٌ وَقُدُوةٌ الْمُحِبِّينَ
الذَّاكِرِينَ؟! صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.





٣ المقدمة
٥ فَصَائِلُ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
١٥ فَصَائِلُ أُخْرَى لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنَ السُّنَّةِ
٢٥ شُرُوطُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
٣٥ مَدْلُولٌ وَمَعْنَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
٤٥ نَوَاقِصُ شَهَادَةِ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
٥٤ بَيَانُ فَسَادِ الذِّكْرِ بِالاسْمِ الْمُفْرَدِ مُظْهِراً أَوْ مُضْمِراً
٦٤ مُخْتَبَرَاتُ التَّوْحِيدِ

